حضور العشرية السوداء في الرواية الجزائرية

قراءة في نماذج مختارة

The presence of the black decade in the Algerian novel

الأستاذة الدكتورة فايزة لحياني

جامعة أحمد دراية أدرار الجزائر

adrarfaiza@univ-adrar.edu.dz

ABSTRACT

The fiction literature in Algeria in the beginning of the nineties had suffered from a number of political, economic and social events which observed the overall prevailing conditions in the contemporary history of Algeria. It is known that literature in general and fiction in particular is a reflection of the society and every single change in the life of people has to be captured and it is the duty of writers to record everything happening in the society related to common man. Algerian writers felt their responsibility to write about those important issues which resulted in due to Algerian crisis that is known as Black Decade. Muhammad Sari, Bashir Mufti, Yasmeena Hadhra, Ahlam Mustaghanfi and others are among of those writers. This study shed light on era of crisis which known as Black Decade and its impact on Algerian society by analyzing some quotes of fiction literature.

Keywords : fiction literature, Algeria, events, Black Decade.

توطئة

شهد الأدب الجزائري المعاصر تغيرا ملحوظا في السنوات الأخيرة من القرن الماضي متأثرا بالأحداث السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي عاشتها الجزائر . ذلك التأثير أعطى ميزة خاصة لأدب تلك الفترة باعتباره الوليد الشرعي لها , حيث لجأ بعض الأدباء و المثقفين آنذاك إلى الهجرة بحثا عن ملاذ آمن لإفراغ كبتهم و إخراج إبداعاتهم إلى العلن في حين أن بعضهم الآخر لزم الصمت نتيجة الضغوطات حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الانتحار و هذا الحال كان بداية سنة 1988م إذ كانت فاجعة بالنسبة للوسط الثقافي . فقد انتحر صالح زايد أحد المفكرين الجزائريين النزهاء .[1]

و بعد المخلفات التي خلفها الاستعمار الفرنسي من فقر و بطالة و أمية مما أدى ذلك إلى الدخول في دوامة إحباط نفسي , و ما إن استعادت الجزائر حريتها حتى وجدت نفسها أمام صدمة قاسية و لم يعد الفرد الجزائري يستوعب ما يحصل و انتهى مسار تلك التأزمات بانفجار الوضع في أحداث أكتوبر 1988 م و أخذت التجربة بعد هذا التاريخ منعطفا حاسما غير من نمطيتها الجاهزة .[2] و فتح المجال أمام التعددية الحزبية التي كان من أهم تشكيلاتها الأحزاب السياسية التي عانت التهميش منذ استقلال الجزائر , ثم تأسس التيار الإسلامي , الذي استطاع حشد عدد كبير من الدعاة و أئمة المساجد و أضحت كلمته مسموعة وسطهم لأنهم يرون فيه صورة المصلح المرشد القائم إلى وضع أفضل و نشأ بعد ذلك صدام بين الجيش و الجبهة الإسلامية للإنقاذ مما أدى إلى تشتت المجتمع الجزائري و خلق هوة ساهمت بتفريغ الإرهاب الذي ضرب بقوة بين صفوف أبناء الفئات الشعبية التي كانت القاعدة الاجتماعية و السياسية لهذه الحركات الاجتماعية و الشعبية باعتبار فئة الشباب هي الأكثر فاعلية في المجتمع[3], لكن الشباب في تلك الفترة أصبح لا يميز بين الحق و الباطل بسبب تعدد التيارات المتزاحمة فيما بينها فوقعوا في فخ الفراغ النفسي إثر كل التغيرات فكان لابد من سد الثغرات إما بالسلب أو الإيجاب فسار ضمن مخططات و أهداف لم يكن على دراية بها ليجد نفسه ضمن توجهات مختلفة .[4]

و باعتبار الأدب انعكاسا لحالة المجتمع و تعبيرا صحيحا لحياة أفراده كان لزاما على أدباء الجزائر أن تكون أقلامهم سيالة لترصد القضايا السياسية , الاجتماعية و الاقتصادية التي تمخضت عنها أزمة الجزائر و التي أطلق عليها العشرية السوداء , و من ثم جاءت الدراسة الموسومة بالعشرية السوداء في الرواية الجزائرية قراءات نقدية لنماذج مختارة لتجيب عن تساؤلات رئيسية مفادها :

- ما هي مواضيع و اهتمامات الرواية الجزائرية في العشرية السوداء ؟

- ما هي ملامح الرواية التسعينية في الإبداعات الأدبية الجزائرية ؟

- هل تمكن الروائيون من تصوير و رسم الواقع المرير للمجتمع الجزائري بكل فئاته في تلك الفترة ؟

- ما هي الشرائح و الفئات الأكثر معاناة في تلك الحقبة ؟

1- إشكالية مصطلح أدب التسعينات في الجزائر :

لعل الحديث عن أدب العشرية السوداء أثار بلبلة حول إشكالية المصطلح بين المهتمين بالشأن النقدي الروائي فالأدباء و النقاد الجزائريون لم يجمعوا على مشروعية مصطلح من المصطلحات المتداولة فيما يتعلق بأدب التسعينات فقد أطلقت عدة تسميات لتسعينيات من القرن العشرين كفترة الأزمة , فترة المحنة , عشرية الدم , فترة الفتنة , العشرية الحمراء ... الخ .و معظم التسميات في أوساط اجتماعية إعلامية و سياسية ...باستثناء بعض المتابعات الصحفية المستعجلة في الصفحات الثقافية و بتوصيفها بشخصين يلخصان لوحدهما الحكم النقدي النهائي بحيث وصفت حينا بالأدب الاستعجالي [5] وهو المفهوم الذي رددته الأوساط الفرانكفونية في مقاربتها النقدية و معالجتها الصحفية و أطلقوا عليه الأدب الاستعجالي و سمي بأدب المحنة [6] من قبل النقاد و الدارسين الجزائريين .

يشير جعفر بالوس إلى أن إشكالية هذا المصطلح أخذت مناحي متعددة في الأوساط الجزائرية بقوله: " لقد أطلق بعض من زملائنا الأدباء و الباحثين الجامعيين على الكثافة الأدبية[7] في الفترة الممتدة من 1990 م إلى 2000 م اصطلاح كتابة المحنة و كتابة الاستعجال.[8]

فمن النقاد الذين عارضوا تسمية الأدب الاستعجالي أو أدب العشرية السوداء منهم واسيني الأعرج الذي كان من اشد المنتقدين لهذا المصطلح و اعتبر هذا الأدب مجرد توثيق لما حدث في فترة العشرية السوداء ... الخ [9]. كما يرفض الطاهر وطار مصطلح الأدب الاستعجالي في الأدب إذ يقول :" إنني لا أعترف بمصطلح الأدب الاستعجالي في الأدب و إن لم نكن نقصد بالاستعجال التهافت من أجل الظهور رغم حداثة التجربة و الموهبة ... الخ . فأدب التسعينات و هو مظهر اقتضته الحاجة في سنوات الإرهاب .

و يذهب أحمد منور إلى تسمية الانتاجات الأدبية المتزامنة مع الفترة الممتدة 2000-1999 بأدب الأزمة و تدخل رواية "الورم" في سياق ما أنتجته العشرية من أعمال روائية بالعربية و الفرنسية بأسماء مشهورة و أخرى مغمورة تراكمت مع مرور الأيام لتشكل ما يمكن تسميته بأدب الأزمة .[10]

يشير منور إلى النماذج الروائية التي تفردت و انشغلت في أعمالها الفنية لمضامين الحرب الأهلية في الجزائر كواسيني الأعرج , طاهر وطار , إبراهيم سعدي , أحلام مستغانمي و فضيلة الفاروق .

كما يشير أيضا عبد الوهاب العوشي إلى أن أدب التسعينات هو أدب مسلح لما تضمنته مظاهر العنف و القتل ... و سيظل النقاد يأخذون عن هذا الأدب لافتقاره الوقائع إلى العمق و غياب الكاتب الجمالي على حساب الموقف و يتجلى ذلك في رواية "خرفان المولى " التي حفلت بمشاهد القتل الإرهابي و التعذيب لـ " ياسمينة خضرا ".[11]

لقد أصبحت هذه الروايات مثل " فتاوى زمن الموت " و "بوح الرجل القادم من الظلام " لإبراهيم سعدي و "ذاكرة الماء " لواسيني الأعرج و غيرها بمثابة سندات تاريخية شهدت على أهم المراحل في تاريخ الجزائر .

و لقد كان الأدب الاستعجالي يتخبط في خضم الخطابات السياسية و الإيديولوجية في المحاولات الإبداعية أو المحاولات النقدية و قد طمست هاته الهيمنة ثلاث فترات متمايزة من تاريخ البلاد ....و لهذا لا تكاد تخلو نصوص فترة التسعينات من التعبير عن هول الأزمة و ما خلفته من نزيف في النسيج الاجتماعي .[12]

2- الرواية التسعينية و العشرية السوداء :

إن تحول الصراع السياسي إلى صراع دموي بين مختلف الإيديولوجيات دفع بالكتابة الروائية إلى مواكبة الأزمة فنتج عن ذلك نوع سردي جديد تقلده مجموعة من الكتاب في النصوص الروائية و القصصية باللغتين الفرنسية و العربية تنبع من الأوضاع المفجعة التي عاشتها الجزائر منذ أحداث 1988م.وسنتعرض في دراستنا إلى عرض بعض النماذج الروائية باللغتين العربية و الفرنسية التي جاءت نصوصها التسعينية لصيقة بالفاجعة التي ألمت بالجزائر في العشرية السوداء .

سايرت الرواية الجزائرية أوضاع المجتمع الجزائري سواء كان ذلك قبل الاستقلال أم بعده فرصدت بذلك مختلف التحولات و التمزقات التي عرفها المجتمع الجزائري " فقد استطاعت أن تصل إلى العالم بفضل الروائيون الذين يكتبون باللغة الفرنسية : مولود معمري , مولود فرعون , محمد ديب , و بفضل الروائيون الذين يكتبون باللغة العربية : الطاهر وطار , عبد الحميد بن هدوقة , مرزاق بقطاش , أحلام مستغانمي "[13]

مرت الجزائر بمرحلة عصيبة في تاريخها كان لها بالغ الأثر في الحياة الاجتماعية و السياسية و الثقافية , و هي مرحلة العشرية السوداء و كان للأدب دور في إبراز ملامح المجتمع الجزائري في هذه الفترة و ذلك من خلال نصوص روائية مختلفة إذ " جاء أدب

التسعينات ليؤرخ لجزائر الدم و الألم جزائر قتل الجمال و حجب الضياء "[14], حيث استطاع الكثير من المبدعين الجزائريين إنتاج نصوص روائية تحمل تجربة عميقة و لصيقة بالفاجعة التي ألمت بالجزائر في العشرية السوداء و كلها نصوص مشحنة بالنقد الإيديولوجي بسبب العنف الواقعي الذي أصبح عنف لغوي روائي طغى كموضوع على النص السردي التسعيني " و هكذا كانت الرواية التسعينية , من ناحية التيمات تحمل طابع التماثل و التشابه و هي نفس الملاحظة التي نجدها في رواية العشرية السوداء التي سبقتها , و هذا يعني أن رواية التسعينات شأنها شأن رواية المرحلة السابقة لها تتميز بدورها بتمركزها حول هموم الجماعة و من ثم بالواقع العام للمجتمع و إذا كانت هذه الظاهرة بالنسبة للنص الروائي الخاص بعهد الأحادية الحزبية يمكن إرجاعها إلى اشتراك الروائيين في تبنيهم بهذه الدرجة أو تلك الواقعيةالاشتراكيةأهداف نضالية و طبقية ".[15]وسنستعرض بعض النماذج الروائية التي عبرت بعمق وألم معاناة الشعب الجزائري في فترة التسعينيات .

1 _ روايات ياسمينة خضرا :

ياسمينة خضرا هو الاسم المستعار للكاتب محمد مولسهول , حيث عرف من خلال كتاباته أنه ينتقد الحماقات البشرية و ثقافة العنف , و يتحدث عن جمال و سحر وطنه الجزائر . اشتملت رواياته على أحداث مختلفة عايشها خلال العشرية السوداء باعتبار أنه كان ضابطا في الجيش الجزائري فكانت الأحداث المأساوية جزء من تاريخه الشخصي و يتجسد ذلك في روايته : "مكر الكلمات" و "الكاتب " حيث انبرى في الأول خصوصا إلى استدعاء ذكرياته الخاصة في حرب الجماعات الإرهابية لاسيما و النص عبارة عن سيرة تروي تفاصيل تقاعده من الجيش الجزائري و هجرته إلى المكسيك في تلك الرحلة التي شهدت هجرة جماعية لأغلب الكتاب.[16]

كانت هذه النصوص شهادات حية عاينها عن كثب الكاتب ياسمينة خضرا حيث يروي يوميات الضابط الذي كأنه الكاتب في تعقب الجماعات الإرهابية و بقايا المجازر في المداشر و القرى التي كان يدخلها بجيشه عقب كل عملية دموية .[17] فلا أصدق تعبيرا عن المأساة

الوطنية إلا على اللسان الذي عايشها و هذا ما حصل مع الكاتب ياسمينا خضرا فجسد ذلك في أعماله الإبداعية و التي من روايته "سكر الكلمات " .

تتجلى الأزمة التسعينية عند " محمد مولسهول " في تجربته الحربية مع الجيش الجزائري من خلال روايات "بما تحلم الذئاب " و " خرفان المولى " و هما نصين يشتملان على كل مقومات أدب الحرب و على رأسها مقوم التجربة الشخصية و المشاركة الفعلية في الوقائع الحربية و هو ما توفر لياسمينا خضرا وحده دون غيره من الكتاب الذين كتبوا عن جرائم الحرب[18], و بهذا يمكن اعتبار محمد مولسهول عينا فاحصة بدقة لجل ما كان يجري خلال العشرية السوداء.

و بنظرة متفحصة لرواية "بم تحلم الذئاب" جاء عنوانها جملة إنشائية استفهامية تفتح المجال أمام القارئ لاحتمالات مختلفة عن طبيعة الذئاب المقصودة , إن كانت ذئاب حيوانية , أم أن هناك نوع آخر من الذئاب يقصده الراوي ؟ غير أن المؤكد هو أن هذه الذئاب تحمل كل الصفات السيئة لأنها حيوانات مخادعة ' تلتهم فرائسها بدون أي رحمة , و قد جسد العنوان صورة بيانية , و هي استعارة مكنية لأن الكاتب شبه الذئاب بالبشر فقد كانت ذئاب الرواية المقصودة هنا متمثلة في أناس تخلو عن قيمتهم الإنسانية النبيلة و غاصوا في أحلام لا طائل منها .

"بم تحلم الذئاب " رواية بوليسية استعجالية , نموذج ناضج من أدب المحنة أو الأزمة , كتبت باللغة الفرنسية و قام أمين الزاوي بترجمتها إلى اللغة العربية , ترتكز الرواية على تتبع مسار شاب جزائري و هو وليد , الشاب الفنان البسيط الذي رمت به الأقدار السياسية و الدينية و الثقافية و الاجتماعية في متاهة العنف , إذ ينحدر الشاب شيئا فشيئا إلى هاوية الإرهاب و تلك حال كثير من شباب الجزائر الذين انقادوا في ظل الفراغ السياسي , إلى المضي إلى طريق الظلام الذي حولهم إلى ذئاب بشرية تحترف ممارسة العنف .

يضاف إلى هذه الشخصية وليد نافا , شخصيتين ثانويتين في الرواية هما : يحي الموسيقى , سيد علي الشاعر الذي يقتل في منزله , و يزعج الإرهابيين ببسمته الساخرة التي ارتسمت على وجهه حتى بعد موته , فتختلف النهاية من فنان لآخر[19].هذا و ركزت هذه الرواية على إبراز شخصية المثقف الجزائري بمختلف انتماءاته المهنية و الإيديولوجية ليكون الشخصية المركزية داخل العمل السردي .[20]

كما تتجلى بعض الملامح الاجتماعية لجزائر التسعينات , في هذه الرواية حيث يتقطف السارد بعض المشاكل الاجتماعية و الظواهر المنبوذة كآفة المخدرات , انتشار أماكن الرذيلة , الاغتصاب , الهجرة , التسول ... الخ و المقاطع التالية تبرز هذه المظاهر :

- " كثير ما سألت نفسي عم يبقيني في هذا المخبأ المريب المسكون بمستهلكي الكوكايين و السحاقيات و اللصوص الذين هم في نقاهة .

- سأتدبر أمري و احصل على وثائق كي أغادر هذا البلد إنه ما عاد بلدي .

- ..... بالقصبة كان من المستحيل إيجاد شخص يواسيك دون أن يمنحك فرصة كي يغرس فيك بعض العقائد . كانوا يستغلون الحالة النفسية للضالين و ضعفهم لربطهم بالحركة ."[21]

يصف السارد الأوضاع الاجتماعية المزرية لجزائر التسعينات , فبالتطرق إلى ذكر الفقر و البؤس الذي آلت إليه بعض العائلات التي استغلت حالة الضعفاء و استعبدتهم لحساب تحقيق المصالح الشخصية , و المتن الروائي يكشف ذلك : " استدرنا وراء الأحياء القديمة ....يتأوه الشيخ في غرفة الاستقبال ... سكن المرض أعماقه من دون شفقة ... تميل الأم من شدة النعاس بجانب سريره .... ما عاد نافع يحتمل التفرج على بؤسهم و كله عجز .... الفقراء يتهمون الأغنياء على أنهم مصدر آلامهم , أما الأغنياء يرون أنه من الواجب على الفقراء أن يلوموا أنفسهم فقط ."[22].

اهتم ياسمينة خضرا في عمله بدرجة أكبر بالطبقة المثقفة , كما عرض الفضاء المكاني المتمثل في مدينة الجزائر و مناطقها كالبليدة و القصبة و غيرها ما جعل فضاء المأساة مجسدا يصور العنف الصراع الطاغي في تلك الفترة بأبعاده الثقافية و الاجتماعية و السياسية و الدينية . كما تنوعت أسماء الشخصيات الإرهابية و تعددت أدوارها (أمير كتيبة, قائد مقاتل بسيط , الجيا , الميا , الفيس ...) كما أعطى السارد صور مختلفة عن المرأة التسعينية تمثلت في المرأة الإرهابية (هند) المرأة البرجوازية (صونيا) المرأة الصامدة أمام قصر المجتمع (حنان) كما أشار إلى أطراف الصراع (الجماعات الإرهابية فيما بينها من جهة , و نزاعاتها ضد السلطة من جهة أخرى).

2- روايات بشير مفتي :

بشير مفتي صحفي و كاتب و روائي جزائري , له ثلاث مجموعات قصصية و تسع روايات منها : " أرخبيل الذئاب " , " شاهد العتمة " , " دمية النار " , " غرفة الذكريات " , " المراسيم و الجنائز " . و قد تميزت كتاباته الروائية كونها إصرار على الحياة و رغبة في الصمود , بخلاف مجموعته القصصية الأولى وجدت كتاباته الروائية أصداء إيجابية في الأوساط النقدية , خاصة رواية " المراسم و الجنائز " . و قد تميزت معظم رواياته بمعالجتها للحالة المزرية للمجتمع فحرب العشرية أقحمت الصغير و الكبير , الرجل و المرأة , الأطفال و الشيوخ , الظالم و المظلوم . فلم تكن هناك رحمة أو تمييز فدخلت الجزائر في دوامة من العنف الأعمى . فكان الموضوع الأبرز في نصوصه الإبداعية الروائية معالجة محنة المثقف الجزائري خلال فترة العشرية السوداء فالأحداث الدموية التي عاشتها الجزائر و اغتيال العديد من المثقفين و الأدباء جعلت الكاتب الجزائري يبدع بقلمه و يساير الأحداث , و يسقط أفكاره المتأججة في لحظة ما و من واقعه المرير و المتخم بالأحداث .

إن أبرز روايات بشير مفتي المشخصة لمقاومة الأزمة الوطنية رواية " المراسيم و الجنائز " التي تلفت انتباه القارئ بعنوانها , فالتقاء الكلمتين مجموعتين و معرفتين يشكل خطوة أولى نحو الدخول في مأساة الحضور في جنائز التسعينات واقعيا و ثقافيا, إنها رواية كباقي

روايات العشرية السوداء تعكس موقف المؤلف من الوضع , فهو يكشف عن العلاقة المتوترة بين الكاتب و الواقع , ذلك الواقع الذي سيطر عليه الخوف و الهرب من الأوضاع. فإما أن يكتب المؤلف بشجاعة منه و ينزع الأقنعة , أو يفضل السكوت .

رواية " المراسيم و الجنائز " سايرت و عايشت أحداث التسعينات توفرت على مميزات الرواية التسعينية إذ عملت على اقتحام الراوي عالم المثقفين في عالمه الخيالي ليكون معظم أبطال روايته شاهدين على المأساة التي مر بها الوطن و من بين الشخصيات التي استطاع الكاتب أن يصور من خلالها صورة المجتمع في تلك الفترة شخصية السارد و هو شخصية محورية في الرواية هو كاتب و أستاذ جامعي صحفي ينتمي إلى عائلة فقيرة , و شخصية فيروز هي أيضا شخصية محورية ثانية صحفية بجريدة الحرية , هاجرت بعد تعرضها للتهديد من قبل المتطرفين و غيرها من الشخصيات الأخرى .

صورت الرواية شتى أنواع الخوف و ما نجم عنه من مآسي , فمثلا شخصية حميدي ناصر حصل له انهيار عصبي و أدخل مصحة نفسية بعد أدائه الخدمة الوطنية , و هاهي الطالبة الجامعية وردة تنتحر بعد استغلالها جسديا و جنون والدها بسبب تمردها و مغادرتها بيت العائلة . ضف إلى ذلك حال العجوز المثقفة " رحمة " التي ماتت بالقرب من بيتها إثر انفجار قنبلة .

إذا رواية " المراسيم و الجنائز " صورت حالة المثقف الجزائري في فترة العشرية السوداء الذي شكلته فئة من الشباب الصحفيين و الأساتذة المحاصرون بالعنف من كل الجهات , إنها تصور مأساة وطنية العنف بكل أشكاله . ففي الرواية عنف الخطب النازية و السيارات المفخخة و الذبح و الرؤوس المقطوعة و أشلاء الأجساد المتطايرة و كثرة الجثث المشوهة .[23]

لقد نقل لنا الراوي مظاهر الأزمة من خلال الرواية من خلال اللغة و صور من الواقع المملوء بين الصراع القائم بين الإسلاميين و السلطة .

3 – روايات محمد ساري :

أستاذ السيميولوجيا و نظرية الأدب بجامعة الجزائر له مؤلفات في النقد العربي, المتمثلة في مايلي :" محنة الكاتبة " , " الأدب و المجتمع " , " وقفات في الفكر و الأدب و النقد ". كما له إبداعات روائية مختلفة منها " السعير " , " على جبال الظهرة " , " الورم " , " القلاع المتآكلة " و له عدة كتب مترجمة من الفرنسية إلى العربية .

محمد ساري كغيره من الروائيين الذين كتبوا عن العشرية السوداء , و هذا ما جاء في روايته " القلاع المتآكلة " إذ عرض لنا أجواء العنف و عمليات التخريب و حالات الانهيار التي آل لها المجتمع الجزائري في تلك الفترة , فيغوص في بشاعة الأحداث , إذ أنها أحداث أكثر مأساوية , يشبهها الراوي بالزوبعة الجارفة أحيانا و بالوحشية أحيانا أخرى . إنها فوضى العنف و الاستبداد .

تدور أحداث الرواية حول قصة المحامي الأعزب الذي عاش هو و رفيقه رشيد احد سكان (عين الكرمة) حياة العنف و الجرائم الشنيعة التي اقترفتها الجماعات الإرهابية المسلحة في حق الشعب حيث ركز الروائي على النتائج السلبية التي خلفها فعل العنف من خسائر مادية و معنوية , فزيادة على القتل و الحرق و التعذيب , عاش سكان عين الكرمة حياة الرعب و الانهيارات النفسية و القلق .

وصف الكاتب مختلف جوانب الحياة التي عاشها المجتمع خلال تلك الفترة من تأزم اقتصادي و تفكك اجتماعي و صراع سياسي و في ظل هذه الحياة المأساوية السوداء تجسدت أزمة المثقف الجزائري المهمش الذي كان يحمل روحا وطنية و ساهم قدر المستطاع من التخفيف من العنف عن طريق التفاوض و إيجاد الحلول المناسبة .

ورد في رواية " القلاع المتآكلة " أسماء لجماعة من الإرهابيين و هم (ياسين , عبد الجبار , عبد الحميد) إذ تجسدت صورة الإرهاب في الرواية في القتل , التخريب , النهب لا غير للحصول على ما يريدونه بالقوة و العنف بنوعيه . ركز الروائي على ثلاث شخصيات من الإرهابيين يقطنون نفس الحي , ذكر جرائمهم الشنيعة لتحقيق هدفهم و هو بناء الخلافة

الإسلامية على أعقاب هدم النظام السائد في البلاد " كلمني عن الانتخابات التي ستنظم بعد أسبوعين في الأيام الأخيرة , كان موضوع الانتخابات محور نقاشات شاحنة بين الإخوان في الإقامة ... أمرني بالحضور لأن مصير الإسلام يتوقف على هذه الانتخابات التي ستمهد الطريق نحو إقامة الخلافة الإسلامية "[24], يتجلى من خلال المقطع إن الجماعة الإرهابية تحلم بالسلطة و تأسيس دولة إسلامية خاصة بها فالانتخابات ستحدد المصير .

و إذا نحن تصفحنا فضاء الرواية فمدينة " عين الكرمة " هي مسرح الأحداث جعلها الراوي من الفضاءات الرئيسية في عمله الفني لوصف المأساة التي حدثت بها من أحداث دموية و عنف و تقتيل و غيرها. هذه الأحداث التي غيرت من جمال مدينة " عين الكرمة " أحداث غيرت و أوقفت عملية التسيير و البناء لتعم الفوضى بالحي و تزدحم المدن بالجثث , و تظهر الهجرة نحو المدن و ترك الريف مما يؤدي إلى توقف النشاط الزراعي , جاءت كل الفضاءات مأساوية فالمدرسة غدت مسرحا للصراع الإيديولوجي و المقهى و الشارع يغطيه العنف و الدموية .

و تعد رواية " الورم " لمحمد ساري التي تسبق رواية " القلاع المتآكلة " في الزمن رواية عاصرت فترة العشرية السوداء حيث أنتجها سنة 2003 م و هي من العناوين التي تثير الخوف و الرعب في قلوب القراء لأن كلمة ورم في الطب هي المرض الخبيث " السرطان" و الكاتب يقصد بأن ما حدث في العشرية السوداء كالمرض الخبيث الذي ينخر جسم الإنسان و هذا لأن العنف قد نخر البلاد .

الرواية تتحدث عن جماعات إرهابية تسيطر على المجتمع الجزائري و تعادي و تقتل كل من يتعاون مع السلطات الجزائرية إلا أن السلطة لم تقف مكتوفة الأيدي و انما كانت تحارب كل من يقف مع الإرهاب و يتعاون معه و ذلك للحد من تياره المتواصل .

4– روايات أحلام مستغانمي :

روائية جزائرية مشهورة لها أعمال مختلفة أهمها : " على مرفأ الأيام " , " كتابة في لحظة عمري " , " ذاكرة الجسد " . تعد روايات أحلام مستغانمي مرجعا مهما في دراسة الفترة التسعينية بالجزائر ابتداء بثلاثيتها (ذاكرة الجسد , عابر سرير , فوضى الحواس , الأسود يليق بك) .

ففي رواية " ذاكرة الجسد " يعلن الراوي عن بداية زمن القصة زمن العشرية السوداء , و هو يتصفح الجريدة اليومية كعادته فهو معتاد عليها و على روتينها الذي يشبهه بحياتنا اليومية و لكنه في صبيحة هذا اليوم يستوقفه خبر يثير الانتباه 25 أكتوبر 1988 م عناوين كبرى ... كثير من الحبر الأسود , كثير من الدم قليل من الحياء [25]

يتحسر الراوي على ما آل إليه وطنه , يتحسر على جماله و دفئه و يجسد ذلك في صورة " حياة " فالوطن له معنى الأمان و الاستقرار معنى جميل تحول في مرحلة من مراحل تاريخه إلى واقع مرير و أليم تحول إلى جحيم بفضل أبنائه الذين انقلب إخلاصهم له إلى خداع إلى دمار , إلى قلوب سوداء لا تعرف الرحمة غير الخراب و الفساد , أصبح الوطن صورة عن المجازر و الفوضى التي عمت أرجائه رائحة الموت و الخوف في كل زاوية من زواياه أرواح أبرياء أريقت دمائهم قتلوا على يد أبناء وطنهم الذين تحولوا إلى وحوش بعد براءة بفضل التيارات و النزاعات المتزاحمة .

تنتهي أحداث الرواية بقتل شقيق الراوي ذات يوم من أكتوبر1988جاء خبر موته هكذا صاعقة تحت علم تلك الأحداث التي هزت البلاد و التي كانت الجرائد و نشرات الأخبار الفرنسية تتسابق بتعلمها مصورة , مفصلة و مطولة باهتمام لا يخلو من الشماتة .[26] فبتقاتل أبناء الوطن الواحد و تشتتهم خير يشفي غليل الأعداء فقد تحقق مرادهم بانقسام و تفرق أبناء الوطن الواحد .

كما صورت أحلام مستغانمي في رواية " عابر سرير " الوضع المزري الذي آل إليه الوطن في فترة العشرية السوداء فترة المحنة و هي من أشد الفترات حرجا إذ أشارت في الرواية مباشرة

دون اللجوء إلى الرمز إلى المأساة التي صنعتها أطراف عديدة متشابكة فهي لم توحي و إنما وضعت عليها اليد متهمة و مدينة ، فالرواية صورة عن وطن منكسر دمرته أيادي داخلية بالنهب و السلب فأصبح لا يحوي إلا الخوف و الرعب و الإيذاء و التشريد ترتسم منذ بداية الرواية صورة لوطن المخاوف الذي أصبح العاشقون فيه يخشون على أنفسهم إن حاولوا أن ينهموا باللقيا و المواعيد فالجزائر أصبح وطن خلع رداء الأمومة مبدلا الحماية إيذاء و هذا ما يعبر به السارد في رواية "فوضى الحواس " بنبرة حزن عاتية " هل يمكن لوطن أن يلحق بأبنائه أذي لا يمكن لحيوان أن يلحقه بنسله ؟ هل الثورات أشرس من القطط في التهامها لأبنائها من غير الجوع"[27] و هي الحقيقة التي عشناها في فترة العشرية السوداء أصبح الإرهابي (الأخ) يقتل (أخاه) يعامل أصدقائه و جيرانه و أبناء وطنه بعنف .

إذن سايرت الرواية الجزائرية في فترة العشرية السوداء المحنة الجزائرية فسالت أقلام الروائيين باللغتين الفرنسية و العربية و كتبوا عن الأحداث الدامية آنذاك من داخل الوطن و خارجه فظهرت في الساحة الأدبية عناوين كثيرة لروائيين جزائريين منها ما جاءت مراعية لجماليات و فنيات كتابة رواية , و منها ما جاءت استعجالية آنية مواكبة للأحداث الراهنة فكانت نصوص روائية مختلفة و متفاوتة من حيث رقيها و تألقها .

و من الروائيين الذين كتبوا عن العشرية السوداء الطاهر وطار , واسيني الأعرج , إبراهيم سعدي , عز الدين جلاوجي , رشيد بوجدرة , فضيلة الفاروق , أمين الزاوي , حميدة العياشي , مرزاق بقطاش , وغيرهم من الروائيين الجزائريين .

الخاتمة :

- تمكن الروائيين الجزائريين من مواكبة أحداث العشرية السوداء , فصنعوا بذلك تجربة أدبية جديدة تميزت بالجد في الطرح.

- ترجمة الروائيين الجزائريين معاناة المجتمع الجزائري و تجلى ذلك في صور العنف المتولد عن أسباب سياسية و اجتماعية .

- استمرار معالجة الرواية الجزائرية للعنف التسعيني إلى يومنا هذا كرواية " القلاع المتآكلة " سنة 2014 لمحمد ساري.

- عبرت الرواية في العشرية السوداء عن معاناة مختلف شرائح المجتمع عن طريق منح أدوار لشخصياتهم الورقية لتصوير الصراع السياسي و الديني و العنف الدموي

الهوامش:

- 1الجيلالي خلاص , أفق النجوم الشتوي (مقالات في الأدب و السياسة) , موفم للنشر و التوزيع , الجزائر 2011 , ص 27

2- العشرية السوداء ... حكاية الجزائر مع الإرهاب الاسلاماوي . نفحات من زمن الحرية . مدونات عربية أغسطس 2015 ،ص1

3- محمد عباس , الوطن و العشيرة (ترشيح أزمة 1991-1996) ، ص 68

4- عبد العالي دبلة , الدولة الجزائرية الحديثة (الاقتصاد و المجتمع و السياسة) ص 158

5- عبد الله شطاح ، مدارات العرب (فضاء العنف في روايات العشرية السوداء) ، مطبعة ألف للاتصال و الإشهار الجزائر 2014، ص 141

6- المرجع نفسه ، ص 142

7 - المرجع نفسه ، ص 142

8 - المرجع نفسه ، ص 142

9 - فايزة مصطفى ، مقال " الأدب الاستعجالي يعود إلى الواجهة " جريدة الأخبار 2001، ص1

-10أحمد منور ، ملامح أدبية (دراسات في الرواية الجزائرية) ، دار الساحل ، الجزائر 2008 . ص 161

11 - المرجع نفسه ، ص 162

12 - مخلوف عامر ، الواقع و المشهد الأدبي (نهاية قرن و بداية قرن) المكتبة الجزائرية ، الجزائر 2011 ، ص 48

13- غنية لوصيف ، أثر العشرية السوداء في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي ، السنة الخامسة ، ع 8 جوان 2010، ص 87

14- سعاد حمدون ، صورة المثقف في روايات بشير مفتي ، مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير تخصص أدب جزائري معاصر ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، 2010/2009، ص 8

-15إبراهيم سعدي ، دراسات و مقالات في الرواية ، منشورات السهل الجزائر .2009 ، ص 64

16- عبد الله شطاح ،أدب المقاومة قراءة في الأدبية والالتزام ، المدونة ، مجلة علمية دورية تعنى بالدراسات الأدبية و النقدية تصدر عن مخبر الدراسات الأدبية و النقدية جامعة لونيسي علي ، البليدة ، دار التل للطباعة ع2 ، 2015 ، ص 54

-17المرجع نفسه ، ص 55

-18 المرجع نفسه ، ص 57

19 - حبيب فاطمة الزهراء ، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ، رواية بم تحلم الذئاب لياسمينة خضرا ، دراسة تطبيقية جامعة وهران،أحمد بن بلة ، معهد الترجمة 2016، ص 129

20 - عامر رضا ، دنيا الوطن ، رواية الأزمة المكتوبة باللغة الفرنسية و إشكالية الترجمة

21 - ياسمينة خضرا , بم تحلم الذئاب ؟, ص 87

22 - المصدر نفسه , ص 132

23 - بشير مفتي , المراسيم و الجنائز , ص 84

24 - محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، منشورات البرزخ ، الجزائر 2013، ص 166

25 - أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد ، موفم للنشر ، د.ط ، الجزائر 2002، ص 19

26 - المرجع نفسه ، ص 277

27 - المرجع نفسه ، ص 49